

مُحَاسِبَةُ النَّفْسِ

الشيخ/ عبد الكريم الخضير

وحيثُ كان من النَّهْيِ اجْتَنِبَهُ وَإِنْ زَلَلْتَ؛ تُبِّ مِنْهُ، وَاسْتَغْفِرْ مَعَ النَّدَمِ

((...فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ))، وَحَيْثُ كَانَ مِنَ النَّهْيِ اجْتَنِبَهُ يَعْنِي مِنْ غَيْرِ مَثْوِيَّةٍ، أَمَّا الْأَمْرُ ((فَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَعْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) وَإِنْ زَلَلْتَ وَقَعْتَ فِي مَحْظُورٍ وَتَرَكْتَ مَأْمُورًا؛ تُبِّ مِنْهُ، بَادِرٌ بِالتَّوْبَةِ، التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ بِشُرُوطِهَا **﴿تَوُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾** [سورة النور] تُبِّ مِنْهُ، وَاسْتَغْفِرْ مَعَ النَّدَمِ، أَلْزِمَ لِسَانَكَ الْإِسْتِغْفَارَ، مَعَ النَّدَمِ مِنْ فِعْلِ هَذِهِ الْمُخَالَفَةِ سَوَاءً كَانَتْ فِي تَرْكِ مَأْمُورٍ أَوْ فِعْلِ مَحْظُورٍ، وَأَوْقِفِ النَّفْسَ عِنْدَ الْأَمْرِ هَلْ فَعَلْتَ، يَعْنِي مُحَاسِبَةً، مُرَاقِبَةً، إِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ، انظُرْ مَاذَا فَعَلْتَ، وَمَاذَا تَرَكْتَ، مَا فَعَلْتَ مِنْ طَاعَةٍ؛ فَاحْمَدِ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا- عَلَى أَنْ وَقَفَكَ عَلَيْهَا، وَمَا فَعَلْتَ مِنْ مُخَالَفَةٍ سَوَاءً كَانَتْ فِي كَلَامٍ أَوْ قَوْلٍ، أَوْ تَقْصِيرٍ فِي فِعْلِ تُبِّ إِلَى اللَّهِ بَادِرٌ حَاسِبٌ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبَ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ﴾** [سورة الحشر] مَا قَدَّمْتَ لِيَوْمِ الْعُرْضِ عَلَى اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-، وَإِنْ زَلَلْتَ؛ تُبِّ مِنْهُ، وَاسْتَغْفِرْ مَعَ النَّدَمِ.

وَأَوْقِفِ النَّفْسَ عِنْدَ الْأَمْرِ هَلْ فَعَلْتَ وَالنَّهْيِ هَلْ تَرَعْتَ عَنِ مُوجِبِ النَّقَمِ!

يَعْنِي حَاسِبِ النَّفْسِ هَلْ فَعَلْتَ الْمَأْمُورَ وَتَرَكْتَ الْمَحْظُورَ؛ لَكِنْ وَاقِعْنَا! يُثَقِّلُ عَلَيْنَا الْمُحَاسِبَةَ... لِمَاذَا؟! لِأَنَّ تَصَرُّفَاتِنَا فِي يَوْمِنَا وَفِي لَيْلَتِنَا كَثِيرَةٌ! وَالْمُخَالَفَاتُ كَثِيرَةٌ، وَاللَّهُ يَعْفو وَيَسَامِحُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَ... كَيْفَ يُحَاسِبُ؟! لَا يُحِيطُ بِمَا قَالَ! فَضِلًّا عَمَّا فَعَلَ! أَقْوَالُهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِيطَ بِهَا، كَلَامُهُ كَثِيرٌ، تَجِدُ الْإِنْسَانَ ثَرثارًا! فِي أَيِّ مَجْلِسٍ يَتَصَدَّرُ وَيَتَكَلَّمُ بِحَقِّ وَبَاطِلٍ وَمُبَاحٍ وَمَحْظُورٍ وَفِي غَيْبَةٍ وَنَمِيمَةٍ وَقَدْ يَقُولُ كَلِمَةً حَقًّا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يُرِدُّهُ... كَلَامٌ كَثِيرٌ! يَعْنِي مَا يُمَكِّنُ إِلَّا إِنَّكَ تَجِيبُ لَكَ مُسَجِّلٌ يَصْحَبُكَ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ! فَإِذَا أُوتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ تَسْمَعُ هَذَا الْمَسَجِّلَ! فَتَكُونُ مُدَّةُ التَّسْجِيلِ أَكْثَرَ مِنْ وَقْتِ النَّوْمِ! هَذَا وَاقِعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا الَّذِي يُثَقِّلُ الْمُرَاقِبَةَ! لَكِنْ عِنْدَ سَلْفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يُرَاقِبُونَ **﴿أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ﴾** هَذِهِ مَنْزِلَةُ الْمُرَاقِبَةِ؛ لِأَنَّ أَقْوَالَهُمْ قَلِيلَةٌ، وَخُطْبَتُهُمْ بَيِّنَةٌ، وَأَصْرُ شَيْءٍ عَلَى الْإِنْسَانِ الْخُلْطَةُ، هِيَ الَّتِي تَجْرُ لَهَا الْأَقْوَالُ وَالْكَلَامُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُخَالِطَ النَّاسَ وَيَسْكُتَ! لَكِنْ لَوْ انزَوَى فِي بَيْتِهِ أَوْ فِي مَسْجِدِهِ أَوْ فِي مَكْتَبَتِهِ، وَجَلَسَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَذْكُرُ اللَّهَ -جَلَّ وَعَلَا-، وَيَنْظُرُ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ، وَإِذَا نَشِطَ صَلَّى لَهُ رَكْعَتَيْنِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ هَذَا مُرَاقِبَتُهُ وَمُحَاسِبَتُهُ سَهْلَةٌ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَعَ النَّاسِ بَيِّنَةٌ وَمَعْدُودَةٌ، وَوَقْتُ الْفِرَاقِ عِنْدَهُ بَعْدَ شَغْلِ عُمْرِهِ وَأَنْفَاسِهِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَوَقْتُ فِرَاقِهِ يَسِيرٌ؛ لَكِنْ مَاذَا عَمَّنْ وَقْتُهُ كُلُّهُ يَجُوبُ الْأَسْوَاقَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَاجْتِمَاعَاتٍ، وَمَحَافِلَ، وَمَا أُدْرِي وَيَش.. يَعْنِي هَذَا لَا شَكَّ أَنَّ الْمُرَاقِبَةَ عِنْدَهُ صَعْبَةٌ، يَعْنِي كَمَنْ يَأْتِي إِلَى مُؤَسَّسَةِ كُبْرَى مُتَعَدِّدَةَ الْمَنَاشِطِ وَالْفُرُوعِ، ثُمَّ يَقُولُ: وَاللَّهِ أَنَا مُحَاسِبٌ لِهَذِهِ الشَّرْكَةِ، كَيْفَ تُحَاسِبُ مِنْ هَذِهِ الشَّرْكَةِ؟! لَكِنْ شَخْصٌ عِنْدَهُ مَحَلٌّ، وَيَبِيعُ مِنْهُ أَشْيَاءَ يَسِيرَةً يَعْرِفُ وَشَ بَاعَ وَشَ اشْتَرَى وَكَذَا... يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْتَخْرِجَ خُلَاصَةَ يَوْمِيَّةٍ بِنَفْسِهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُحَاسِبِينَ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانَ.

وَأَوْقِفِ النَّفْسَ عِنْدَ الْأَمْرِ هَلْ فَعَلْتَ وَالنَّهْيِ هَلْ تَرَعْتَ عَنِ مُوجِبِ النَّقَمِ!

فإن زكّت؛ فاحمد المولى مطهرها

.....

الذي طهرها وزكاها هو الله -جلّ وعلا-، وهو المنعم المتفضل أولاً وآخراً، وهو أهل الحمد، وأهل الشكر.

ونعمة الله بالشكران فاستدّم

.....

{لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد} [7] سورة إبراهيم] ونعمة الله بالشكران؛ فاستدّم.

.....

وإن عصت فاعصها واعلم عداوتها

يعني النفس إن عصت أو حاولت وراودت الوفوع في معصية؛ فاعصها، واعلم عداوتها - نعم - النفس عدو للإنسان، نفسه التي بين جنبيه عدوة له، تدعوه إلى ما لا يرضي الله -جلّ وعلا-.

وخالف النفس والشيطان؛ واعصهما

وإن هما محصاك النصح؛ فاتهم

يعني هذا البيت حق، وإن كان في القصيدة فيها باطل كثير - نعم - ...

وخالف النفس والشيطان؛ واعصهما

وإن هما محصاك النصح؛ فاتهم

هذا كلام صحيح ومقبول، والقصيدة فيها كما هو معلوم فيها الشرك - نسأل الله العافية - أعني البردة.

.....

وإن عصت فاعصها واعلم عداوتها

حذر النفس، وكُن باستمرار مجاهداً لهذه النفس.

وَحَذَرْنَهَا وَرُودَ الْمَوْرِدِ الْوَحْمِ

.....

{وإن منكم إلا واردة} [71] سورة مريم] الورد مضمون؛ لكن الصدور من هذا الموعود هو المشكوك فيه،

وحذرنها ورود المورِدِ الوَحْمِ..

بِهَا وَحَاذِرْ دُنُوبًا مِنْ عِقَابِهِمْ

وانظر مخازي المسيئين التي أخذوا

يعني هم عذبوا، واستحقوا العذاب من الأمم السابقة واللاحقة والمعاصرة؛ إنما عذبوا بذنوبهم، بما كسبت أيديهم،

ولا تفعل مثل ما فعلوا؛ لئلا تكون نبيجتك مثل نبيجتهم، والسُنن الإلهية لا تتغير، ولا تتبدل.